

تقديم فضيلة الشيخ العلامة عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين

الحمد لله الذي خلقنا للعباد، وفرض علينا أن نجاهد فيه حق جهاده، أحمده وأشكره، وأسأله الفضل والزيادة، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وهي أعظم شهادة، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله الذي نصره ربه وبلغه مراده، صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه، ومن تابعهم في العمل والنية والإرادة. أما بعد: فإن من آمن بالله -تعالى- ربًّا، ورضي بالإسلام دينًا، واتبع شريعة محمد -صلى الله عليه وسلم- وجب عليه أن يكمل ما التزمه من الاتباع والافتقار، والتمسك بالشريعة، والعمل بوصية النبي -صلى الله عليه وسلم- حينما أوصى أصحابه بقوله: { عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ } أخرجه الترمذي برقم (2676)، وأبو داود برقم (4607)، وابن ماجه برقم (42)، وأحمد في المسند: (126/4، 127). من حديث العراب بن سارية -رضي الله عنه-، وحينما أخبر بقوله: "التمسك بسنتي عند فساد أمتي له أجر شهيد" أخرجه أبو نعيم في الحلية: (8/200)، والهيتمي في مجمع الزوائد: (1/172)، والمتقي الهندي في كنز العمال: (1071)، والزيلي في نصب الراية: (2/190)، عن أبي هريرة -رضي الله عنه-، قال المنذري: (1/41): إسناده لا بأس به، وضعفه الألباني. انظر: السلسلة الضعيفة (327). . وأخير { أن الإسلام بدأ غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فطوبى للغرباء } لحديث أبي هريرة -رضي الله عنه-: "بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا فطوبى للغرباء". أخرجه مسلم برقم (145). . وفسرهم بأنهم الذين: { يصلحون عند فساد الناس } أخرجه الطبراني في الكبير: (6/202)، وفي الصغير: (1/104). وفي الأوسط، وأورده الهيتمي في المجمع: (7/278)، وابن عدي في الكامل: (2/462)، من حديث سهل بن سعد الساعدي -رضي الله عنه-، وفي أسانيدهم بكر بن سليم الصواف، قال ابن عدي: وهو من جملة الضعفاء، فالحديث بهذا الإسناد ضعيف، لكنه يرتقي بالطرق والروايات الأخرى. أو: { يصلحون ما أسس الناس } جزء من حديث أخرجه الترمذي برقم (2630)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأبو نعيم في الحلية: (2/10-98)، وأورده البيهقي في شرح السنة: (1/120-121)، وابن عدي في الكامل: (6/280)، من حديث عمرو بن عوف المزني -رضي الله عنه- من طريق كثير بن عبد الله عن أبيه عن جده، والحديث بهذا اللفظ ضعيف؛ لأن فيه كثير بن عبد الله، قال الشافعي: "ركن من أركان الكذب". وضعفه ابن المدني، وقال النسائي والدارقطني: متروك الحديث. فهذا الإسناد ضعيف جدا، لكن الحديث صح من طرق أخرى وأصله في مسلم. أو: { الذين يفرون بدينهم من الفتن } أخرجه عبد الله بن أحمد في زوائد الزهد (ص:187). والبيهقي في الزهد الكبير: (206). وأبو نعيم في الحلية: (1/25)، من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص. وفيه سفيان بن وكيع بن الجراح، قال ابن حجر في التقريب: صدوق إلا أنه ابتلي بوقايفه فأدخل عليه ما ليس من حديثه فسقط حديثه، فالحديث ضعيف جدًا بهذا الطريق. وأجرب بأن: { المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كل خير } جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (2664) من حديث أبي هريرة -رضي الله عنه-. ويريد بالقوة المعنوية، وهي الجرأة على إظهار الحق، والدعوة إليه، وعدم هيبة الناس، وعدم الخوف إلا من الله -تعالى- فلذلك كله كان من واجبات الإسلام الدعوة إلى الخير، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهو الذي شرطه الله -تعالى- لكون هذه الأمة خير الأمم، بقوله -تعالى-: { كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَرُؤْمِئُونَ بِاللَّهِ } . فمتى قامت بهذا الشرط وتحققت بهذا الوصف، نصرها الله -تعالى- ويمكن لها في الأرض، كما قال -تعالى-: { الَّذِينَ إِذْ مَكَاتَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَآمَنُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ } وحتى أخلت بهذا الشرط سلبت هذه الخيرية، وأوشك أن ينزل بها العذاب، كما حكى النبي -صلى الله عليه وسلم- ذلك عن بني إسرائيل، حيث قال: { إن أول ما دخل النقص على بني إسرائيل، أن كان الرجل يلقي الرجل فيقول: يا هذا اتق الله ودع ما تصنع، فإنه لا يجل لك، ثم يلقاه من الغد وهو على حاله، فلا يمتعه ذلك أن يكون أكيله وشريبه وقعيده، فلما فعلوا ذلك ضرب الله قلوب بعضهم على بعض. ثم قال: { لَيُنزِلَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ وَعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ } كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ كَعَلُوهُ } الآيات، ثم قال: كلا والله لتأمرنَّ بالمعروف، ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد الظالم، ولتأطرنه على الحق أطرا، ولتقصرنه على الحق قصرا، أو ليضربن الله بقلوب بعضهم بعضا، ثم يلعنكم كما لعنهم } أخرجه أبو داود برقم (4336). والترمذي برقم (3047) بنحوه. وابن ماجه برقم (4006) بنحوه عن عبد الله بن مسعود -رضي الله عنه-. رواه أحمد وأهل السنن بعدة روايات، وحسنه الترمذي. وقد حكى الله عن بني إسرائيل لما اعتدوا في السبت، أن بعضهم نهي وأنكر، وبعضهم سكت أو وبخ من وعظهم، فأنزل الله العذاب بالمعتدين، ونجى الذين ينيهون عن السيئ، فقال -تعالى-: { وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعْبُدُونَ قَوْمًا لَلَّهِ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَتُنَا إِلَى رَبِّنَا وَمَا كُنَّا بِمُخْلِئِينَ عَنْ رَبِّنَا أَوْ فَاعِلِينَ أَمْرَهُمْ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ } . وفي حديث زينب أم المؤمنين قالت: { يا رسول الله! أهلكت وبنينا الصالحون؟ قال: نعم إذا كثر الخبث } جزء من حديث أخرجه البخاري برقم (3346) و(3598) و(7135). ومسلم برقم (2880). متفق عليه وفي حديث أبي بكر الصديق -رضي الله عنه- عند أبي داود وغيره: { ما من قوم يعمل فيهم بالمعاصي، ثم لا يغيروا؛ إلا يوشك أن يعذبهم الله منه يعقاب } أخرجه أبو داود برقم (4338). والترمذي برقم (2169) و(3059) بنحوه. وابن ماجه برقم (4005) بنحوه. وأحمد في المسند: (1/2، 5، 7، 9). قال الترمذي: في الباب عن عائشة وأم سلمة والنعمان بن بشير وعبد الله بن عمر وحذيفة؛ وهذا حديث صحيح. وقال أحمد شاكر في تحقيق المسند (1): إسناده صحيح. وقال الأرنؤوط في شرح السنة (14/344): إسناده صحيح. . وروى الحاكم وصححه عن عبد الله بن عمرو مرفوعا: { إذا رأيت أمتي تهاب أن تقول للظالم: يا ظالم، فقد تودع منهم } أخرجه أحمد في مسنده (2/189، 190-2/163)، والحاكم (4/96)، وأورده الهيتمي في المجمع (7/262). قال الحاكم: (هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه). قال أحمد شاكر في تحقيق المسند (6521): إسناده صحيح. وضعفه الألباني في سلسلة الأحاديث الضعيفة (3/421). . وعن أبي ذر -رضي الله عنه- قال: { أمرني رسول الله -عليه الصلاة والسلام- بسبع: أمرني بحب المساكين والدنوة منهم، وأمرني أن لا أخاف في الله لومة لائم، وأمرني أن أقول الحق وإن كان مرا.. } أخرجه الإمام أحمد (5/159) والبيهقي في السنن الكبرى (10/91). وأورده التبريزي في المشكاة (5259). . الحديث. وفي حديث عائشة -رضي الله عنها- { أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قعد على المنبر فحمد الله وأثنى عليه وقال: "يا أيها الناس إن الله يقول لكم: مروا بالمعروف، وانهاو عن المنكر، قبل أن تدعوني فلا أستجيب لكم، وتسالوني فلا أعطيك، وتستنصروني فلا أنصركم" } أخرجه أحمد في المسند (6/156). وأخرج بعضه ابن ماجه (4004). وأورده الهيتمي في المجمع (7/66). وإسناده ضعيف. . رواه ابن ماجه وابن حبان في صحيحه وكل هذه الأحاديث وأمثالها تفيد وجوب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وبيان ما يترتب على تركه من عموم العقاب، وانتشار المنكرات، وتمكن العصاة، وكثرة الشهور، وذلك مما يبين أهمية هذا الواجب، ولزوم الأمة القيام به أم قيام. ولذا كان جهابذة الأمة وعلماء السنة يذكرون بالغيرة على حرمت الله، وإنكار المنكر مهما كانت درجة أهله، ويؤيدهم من في زمانهم من الخلفاء والملوك، ويمكنهم من القضاء على الفساد وأهله. ومن أقرب مثال ما حكى لنا الشيخ عبد العزيز بن صالح بن مرشد -رحمه الله تعالى- أن الملك عبد العزيز -رحمه الله- عينه وجماعة معه بمكة بوظيفة الحسبة، فاشترطوا ثلاثة شروط: الأول: إعطاؤهم الصلاحية في الحبس والجلد، وإتلاف أجهزة اللهو، ودنان الخمر، والدخان والتارجيل، وهدم القباب التي على القبور، وعقوبة من يتدع في الدين كالموالد ونحوها. الشرط الثاني: العفو عن الأخطاء إذا حصلت منهم، وتحمل أرس ذلك، ولو أدى إلى قتل الأبرياء أو إتلاف ما لا يحق إتلافه، فالإمام يتحمل ذلك. الشرط الثالث: أن لا يسمع فيهم قول قائل، ولا وشاية واش، ولو تكلم فيهم كبير أو أمير أو وزير، وذلك أن الأعداء لهم كثير. وقد أعطاهم الملك -رحمه الله- ذلك كله، مما كان سببا في تطهير البلد الحرام، والقضاء على الفساد، بعد أن كان متمكنا هناك عشرات السنين. وهكذا في جميع البلاد السعودية، فلقد كان هذا الملك -رحمه الله- كلما خرج ضحى من منزله، وجد الناس صفوفًا ببابه من أصحاب المظالم والشكاوى، فيقول لهم: من كان يريد شكوى الشيخ عمر بن حسن ورجال الهيئة فلا يتكلم، فإنا لا نسمع شكواهم، وهكذا أولاده بعده -رحمهم الله تعالى- ووقف الأحياء لنصرة الحق والدين. ولما كان الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بهذه المنزلة، اهتم العلماء بأحكامه، وما يتعلق بهذه الولاية، وكتبوا في ذلك قديما وحديثا، وأفضل من توسع فيه من المتأخرين الشيخ حمود بن عبد الله التويجري -رحمه الله تعالى- حيث ألف فيه رسالة قيمة، طبعت قبل ثلاثين عاما، بعنوان: "القول المحرر في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر". وقد كتبت في هذا الموضوع أجوبة على ما رفعه إليَّ بعض طلبة العلم من الأسئلة التي لها صلة برجال الحسبة وواجبهم، وواجب الأمة نحوهم، ووجوب هذا الأمر على الأمة في الجملة، وقد رتبها بعض الإخوان وصححوها، وخرجوا الأذلة فيها، وأضافوا إليها أجوبة نسخوها من أشهر المحاضرات، تتعلق بالدعاة والمصلحين، وما يقال فيهم، وحيث أن فيها بعض الفوائد لمن قصد الحق، فقد أذنت بطبعتها، رجاء أن تعم الفوائد لمن أراد الله به خيرا، مع اعترافي بالنقص والتقصير، والتماسي من الإخوة طلبة العلم أن ينيهوني على ما قد أقع فيه من الأخطاء والمخالفات، والله عند لسان كل قائل وقلبه، وصلى الله وسلم وبارك على محمد وآله وصحبه وسلم. عبد الله بن عبد الرحمن الجبرين